المدخل إلى العهد القديم

(الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل

دار الثقافة

طبعة ثانية

الكتاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/ ٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

يونان

يأتي سفر يونان الخامس في الترتيب بين أسفار الأنبياء الاثني عشر المتأخرين. وهو يحتل مكانة هامة بين هذه الأسفار. وسرعان ما يلاحظ القارئ للسفر لأول وهلة، أنه يختلف كثيراً عن باقي الأسفار الأحدى عشر، إذ تتضمن هذه الأسفار الكثير من رسائل النبوة التي قيلت لشعوبها ولا تتضمن إلا الإشارات القليلة عن خلفية النبي التاريخية (قارن عاموس ٧ : ١ - ١٧)، أما عن سفر يونان فيسرد قصة شخصية للنبي يونان، ومغامرته. ولا تزيد نبوته التي هي مادة كرازته عن خمس كلمات(بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى)(٣ :٤) أما باقي الأنبياء فموضوع نبواتهم لإسرائيل أو الشعوب الأخرى أن يعلنوا بأمانة قضاء الرب الذي يقود الناس إلى التوبة.

أما في هذا السفر فلا نجد شيئاً من ذلك عن إسرائيل. بل نجد النبي غير راغب في إعلان قضاء الله على شعب نينوى، خوفاً من أن يتوبوا، وبذلك يخلصوا من الهلاك. مما جعل الكثيرين يتساءلون لماذا لم يُوضع سفر يونان بين أسفار الكتوبيم (الكتب) وهو القسم الثالث في التقسيم العبري للكتب المقدسة، وليس بين أسفار الأنبياء كما نتعرض لذلك بالتفصيل فيما بعد.

أقسام ومشتملات السفر

١- هروب يونان من وجه الله (١ : ١ - ١٧).

٢- مزمور (تسبيحة شكر)(٢: ١-١٠).

٣- المرسل المعاند ونجاح إرساليته (٣ : ١-١٠).

٤- تهذيب يونان (٤ : ١-١١).

يونان النبي

ورد في (٢مل ١٤ :٢٥) أن يربعام بن يوآش رد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة، حسب كلام الرب إله إسرائيل الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاي الذي من جت حافر. والمعروف أن يربعام ملك ما بين ٧٨٣ - ٧٤٣ ق.م تقريبا وربما يكون يونان قد كتب نبوته بعد عودته من نينوى. وربما كانت إرساليته إلى نينوى قد تمت قبل حكم تغلث فلاسر بقليل.

ويتساءل علماء الكتاب عما اذا كان يونان هو ذات الشخص الذي ورد عنه في (٢مل ١٤ : ٢٥). وأصحاب المدرسة العصرية مثل أيشفيلد وشيني وونيكلر O. Eissfeldt ,Chcyne, Winckler ينكرون أن يونان بن أمتاي هو نفس الشخص المذكور في (٢مل ١٤ : ٢٥) لكن أليعازر أحد علماء اليهود Rabbi Eliczcr يرى أن يونان بن أمتاي هو نفس الشخص المذكور في (٢مل ١٤ : ٢٥) في أيام يربعام الثاني وأن أمه هي أرملة صرفة صيداً التي أضافت إيليا (١مل ١٧ : ٩- ١١) ويضيف قائلاً إن الحوت الذي أبتلع يونان خُلق من قبل تأسيس العالم ، لأجل هذا الغرض بالذات، على أن هذا الرأي قوبل بالرفض من حاخامات يهود كثيرين.

إرسالية يونان

ورد بالسفر (١: ٢) «صار قول الرب إلي يونان بن أمتاي قائلاً قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد

عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامي». حتى يكرز لها بالتوبة. وإن لم تتب، سوف تسقط المدينة. وتلك كانت مهمة شاقة على النبي: أن يذهب إلى أناس أمميين مضايقين لشعب إسرائيل دائماً . لذا أسرع النبي في عكس الاتجاه. فبدلاً من أن يتوجه إلى الشمال الشرقي إلى نينوى عاصمة أشور (العراق)، توجه إلى أقصى الغرب إلى ترشيش (أسبانيا). فأرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر، فحدث نوء عظيم في البحر، حتى كادت السفينة تغرق. فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه، وطرحوا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر، ليخففوا حمولتها. أما يونان فكان قد نام في جوف السفينة نوماً ثقيلاً. فجاء رئيس النوتية وقال له: مالك نائماً. قم اصرخ إلى إلهك، عسى أن يفتكر الإله فينا، فلا نهلك. وألقوا قرعة ليعرفوا بسبب من وقعت هذه البلية. ووقعت القرعة على يونان. وشرح يونان للبحارة قصته وأقترح عليهم أن يلقوه في البحر، حتى يهدأ النوء ويسكن البحر. وألقى البحارة يونان في البحر فوقف البحر عن هيجانه» (١٥:١).

يونان وسيلة خلاص للملاحين– والخائف من الرب إله السماء، يصير طريقاً لإيمان الملاحين بإله البحر والبر:

بعد أن وقعت القرعة على يونان انهالت أسئلتهم عليه «ما هو عملك ومن أين أنت، ما هي أرضك ومن أي شعب أنت» (١ :٨). يرى أحدهم من الآيات الواردة في (١:٨-٩، ١٤، ١٦) أن البحارة بعد أن تعرفوا على يونان وأنه من العبرانيين، واستمعوا إليه يحدثهم عن الرب إله السموات الذي صنع البحر والبر. (وربما كان للملاحين بعض المعرفة من ترحالهم في أعمال التجارة بين البلدان المختلفة) «آمن البحارة هذه اللحظة بإله إسرائيل» (عدد ١٤)، الذي صلوا إليه حتى لا يجعل عليهم دماً بريئاً، لأنه هكذا إرادته. وبعد أن طرحوا يونان في البحر وقف البحر عن هيجانه (عدد ١٥) وخاف الرجال من الرب يهوه إله العبرانيين خالق البحر والبر رب الطبيعة وقدموا له ذبيحة ونذروا نذورا «عهوداً» (عدد ١٦) بأن يكون لهم إلهاً كل الأيام (قارن تك ٢٨ : ٢٠ -٢٢) ، يدعونه في الضيق فيستجيب لهم (مزمور ٥٠ :١٥ قارن أعداد ١١ - ١٤). أما الرب فأعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال(الأصحاح الأول) وأما الرب فأمر الحوت فقذف يونان إلى البر (٢ : ١٠).

لقد كانت إرسالية يونان، أن يكرز لنينوى المدينة العظيمة المتسعة الأرجاء، المترامية الأطراف، والتي تحتاج من يونان ثلاثة أيام لتغطيتها بالمناداة عليها، كما أمره الرب. غير أن يونان أخذ ينادي على نينوى بأنها ستنقلب إن لم تتب. ولدهشته الكبرى حققت إرساليته التي لم تأخذ إلا يوماً واحداً نجاحاً باهراً، بل فائقاً. وآمن أهل نينوى بالرب، ونادوا بصوم ، ولبسوا مسوحاً، من كبيرهم إلى صغيرهم (٣: ٥) وتذللوا أمام الرب. وصرخوا إلى الله بشدة ورجعوا كل واحد عن طريقة الرديئة، وعن الظلم الذي في أيديهم.

فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة، وعن الظلم الذي في أيديهم، تحنن الله عليهم ورحمهم، ولم يقع الشر الذي تكلم أن يصنع لهم فلم يصنعه (الأصحاح الثالث). وغضب يونان واغتم غماً شديداً. لأنه لم يحدث ما كان يتوقعه وطلب الموت لنفسه. وخرج يونان إلى خارج المدينة. وجلس ينظر من بعيد، ماذا يحدث للمدينة. وصنع له الرب يقطينة ارتفعت فوق يونان لكي يتخلص من غمه. وفرح بها فرحاً عظيما. لكن سرعان ما جفت اليقطينة، ويبست من قبل الرب. وانتزعتها ريح شرقية في اليوم التالي. وضربت الشمس رأس يونان ، فحزن وطلب لنفسه الموت للمرة الثانية. ورد قائلاً :«موتي خير من حياتي» فوبخه الرب على عدم فهمه وحمقه، إذ يغتم من أجل اليقطينة التي لم يتعب في تربيتها والتي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت وكان مشفقاً عليها (٤: ١٠). بينا لم يشفق على نينوى برجالها ونسائها وشيوخها وأطفالها وبهائمها: مدينة عظيمة تربو على مئة وعشرين ألفا هم عدد سكانها. وقد ابتهج يونان باليقطينة وفرح بها فرحاً عظيماً (٤:٦) إلا أنه لم يفرح لخلاص شعب نينوى المدينة العظيمة. لقد انقلبت عنده المعايير تماماً ولم يدرك أين الصواب (٤:٤، ٩).

الكاتب وزمن الكتابة

اختلف العلماء، وتعددت الآراء حول الكاتب وزمن كتابة السفر. وعما اذا كان يوجد شخص بالاسم يونان وأن القصة حدث تاريخي بالفعل، أم أنه مجرد مثل أو رمز. الأمر الذي سوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد.

يتساءل أيشفيلد O. Eissfeldt عما إذا كان يونان بن أمتاي هو يونان الذي ذكر في (٢مل ١٤ : ٢٥). وإذا كان هو بالفعل، ويكون السفر قد كتب خلال القرن الثامن ق.م. ولكن لا يوجد دليل واحد فقط - في نظره- يؤكد هذه الحقيقة . بل على العكس فإن ما ورد في(٣:٣) يعد إشارة إلى أن نينوى مدينة يتحدث عنها الكاتب في عداد الماضي السحيق. كما أنه من غير المألوف الحديث عن ملك أشور، بأنه ملك نينوى. ويعتقد أن سفر يونان كتب في زمن ما بعد السبي، بواسطة كاتب غير معروف، تأثر كثيراً بواسطة كتابات النبي إشعياء (٤٠ -٦٦) وتعاليمه عن الإله الذي يبسط رحمته، ومحبته على الأمم الأخرى، بواسطة كرازة إسرائيل شعبه المختار. ويرجع تاريخ كتابة السفر إلى القرن الخامس.

أما عن روبرت فايفر R.pfeiffer فيشك كثيراً في إمكانية مكوث يونان في جوف الحوت، ثلاثة أيام وثلاث ليال. والاعتراض الآخر أن لغة السفر لا تشبه في شيء لغة الأنبياء الأولين (أنبياء القرن الثامن ق.م). ومن الصعب الاعتقاد أن رسالة المحبة، والعطف الإلهي، لأشد أعداء إسرائيل(أشور بلاد العراق حالياً) تُكتب في وقت مبكر من تاريخ إسرائيل، وربما كتب السفر في زمن متأخر يرجع تاريخه إلى أوائل القرن الرابع ق.م والكاتب لم يكن شاهداً على الأحداث.

هذه الآراء كلها، يرفضها العلماء المحافظون، علماء الكتاب المقدس وعلى رأسهم ازروالد أليس O.Allis وادوارد يونج E.Young وغيرهم كثيرهم . ويعتقدون أن يونان النبي هو الذي جاء عنه في (٢مل ١٤ : ٢٥) أيام يربعام الثاني بن يوآش . وربما يكون قد كتب نبوته بعد عودته من نينوى خلال النصف الأخير من القرن الثامن. وربما كانت إرساليته إلى نينوى قد تمت قبل حكم تغلث فلاسر بقليل. بمعنى أن السفر كتب في زمن مبكر جداً أي زمن ما قبل السبي. أما أنه من غير اللائق أو المألوف أن يلقب ملك أشور بأنه ملك نينوى- فهذا غير صحيح بل ومألوف جداً وتكرر ذكره في مواضع عديدة من الكتاب المقدس مثل ملك السامرة أخآب (ويقصد به ملك إسرائيل) (١مل ٢١ :١ ، ٢٠ ، ٤٣) وملك أدوم (٢مل ٣: ٩ ، ١٢) وملك دمشق ويقصد به ملك آرام سوريا(١أخ ٢٤ : ٢٣).

وعن الرأي القائل بأن لغة السفر، تختلف عن لغة الأنبياء الأولين من زمن القرن الثامن ق.م ، لما ورد به من تعبيرات لها الصبغة الآرامية وعلى رأس القائلين بهذا الرأي أيشفيلد وروبنسون، واويسترلي الذين قالوا إن أسلوب كتابة السفر يرجع إلى زمن ما بعد السبي (أي القرن الخامس ق.م). فإن العالم الكتابي إدوارد يونج ينكر هذه النظرية. قائلاً إنها غير معقولة لأن مخطوطات رأس شمرا (يوجاريت) تضمنت عبارات أرامية، يرجع تاريخها إلى ما بين ١٥٠٠ - ١٤٠٠ ق.م كما أن فايفر "Pfeiffer" يعتقد بأنه من غير المعقول أن يبقى يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وليال. والواقع أن هذا أمر يعجب له الإنسان لأن رب المجد يسوع المسيح نفسه أقر تاريخية هذا الحدث المعجزي من الله رب الطبيعة. رب البحر والبر حينما كان يشير في حديثه إلى موته وقيامته: «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام، وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض، ثلاثة أيام وثلاث ليال» (مت ١٢: ٣٩، ٤٠) . وكما يتحدث عن ملكة سبأ (التيمن) كحدث تاريخي أيام سليمان، فهو يتحدث أيضاً عن يونان كشخصية تاريخية (لوقا ١١: ٢٩ - ٣٠) والتاريخ القديم حافل بالمعجزات، كالتي تمت مع النبيين إيليا وأليشع (قارن على سبيل المثال ١مل ٩:١٧-١١، ٢١، ٢١-٢٣، ٢مل ١:٥-٣).

بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، وقالوا إن الرب يسوع المسيح استخدم قصة يونان، لا لأنها قصة تاريخية

حقيقة، إنما كان يقصد بها التأثير على سامعيه من اليهود، باقتباسه من تعاليمهم ومعتقداتهم. وهؤلاء هم أصحاب الرأي القائل، بأن سفر يونان لا يزيد عن كونه مثلاً توضيحياً أراد به الكاتب أن يظهر محبة الله للأمم الأخرى، مثل نينوى عاصمة أشور. رغم أنه شعب معاد لشعب إسرائيل. وهذا الرأي يضع السفر في عداد الأمثال مثل الابن الضال (لوقا ١٥: ١١-١٣) . ورغم أن المثل يمكن حدوثه في التاريخ ، مثل الابن الضال الذي يتكرر كل يوم. إلا أن علماء الكتاب من رجال الكنيسة، يرون فيه إغفالاً لحقيقة تاريخية تمت، وهي أن شعب نينوي صرخ إلى الرب، وتذلل قدامه وصاموا، إذ رجعوا إلى الله. «فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة ندم الله على الشر (بمعنى رحمهم إذ تحنن عليهم) ندم على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم» (٣: ١٠) الأمر الذي يؤكده شخص ربنا يسوع المسيح «رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا» (مت ١٢: ١٤).

ويتساءل العلماء أين هذه الكلمات من الحكم على سفر يونان، بأنه مجرد مثل ضمن الأمثال العديدة، سواء في العهد القديم وهي كثيرة (مثل قض ٩:٨ - ١٠، ٢ صم ١٢:١-٣) أو الأمثال الواردة في العهد الجديد، مثلما سبقت الإشارة أيضاً، مثل السامري الصالح (لوقا ١٠:٢٩) وماذا عن ملكة التيمن (ملكة سبأ) التي يشير عنها رب المجد في ذات االنص قائلاً:«ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان، وهوذا أعظم من سليمان ههنا» (قارن ١مل ١٠: ١-٩). ألا تعد هذه الكلمات إشارة إلى حقيقة تاريخية أيضاً مثل يونان ورجال نينوي ؟ لا شك أن الربط واضح بين هذين الحدثين المقتبسين من الكتب المقدسة.

وعن أصحاب المدرسة الرمزية

فهم يرتكزون على تفسيرهم الرمزي لسفر يونان، ربما لأن الاسم يونان في العبرية يعني يمامة أو «حمامة»، واستخدم آساف المرنم قديماً هذا التشبيه أو الرمز عن إسرائيل ، فيرفع صلاته إلى الرب ويعدد مراحمه وإحساناته على إسرائيل قائلاً : «أذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القديم وفديتها» (مزمور ٧٤ : ٢) ويشكو إلى الرب تهديدات الأعداء، ويرجوا الإله القديم الذي شق البحر بقوته، وكسر رؤوس التنانين وفتت (طحن) رؤوس الحيات، ويستطرد القول: «جعلته طعاماً للشعب لأهل البرية»، وهذه إشارة ترمز إلى قدرة الله العظيمة الذي جعل من الآكل أكلا (أعداد ١٠-١٤) أنه الإله الذي فجر الماء من الصخر، وأقام عيوناً، وصنع سيولاً، هو ذاته الذي جعل يابسة وسط اللجج، ويبس أنهار دائمة الجريان (عدد ١٥) خالق النهار والليل والصيف والشتاء (عدد ١٦) بهذه اللغة البديعة، يخاطب آساف الرب، ذاكراً أفضاله وجوده، على الشعب قديماً. وفي النهاية يقدم مطلبه إلى صاحب الأذرع الأبدية، التي تعضد وتحفظ ، وتقيمه من السقوط- لا تسلم نفس يمامتك (إسرائيل) للوحش..- قم انهض يا الله، اذكر تعبير الجاهل (أعداد ١٩ -٢١) ويرى هاريسون R.K.Harrison في كتابه مقدمات العهد القديم O.T.Interoduction والصفحات من (٩١١ - ٩١٢) أن المرنم آساف في مزمور ٧٤ يعد أول من استخدم هذا التشبية، أو الرمز لإسرائيل باليمامة. أما هوشع النبي (في القرن الثامن) فيتحدث عن إسرائيل بفم الرب، ويشبهها بالعصفور الذي يسرع من أرض الشقاء والعبودية من مصر ، ومثل الحمامة من أرض أشور (أرض السبي)، فأسكنهم في بيوتهم يقول الرب (هوشع ١١: ٩-١١). ويونان الذي هو في العبرية يمامة أو حمامة، يرمز- بالنسبة للمدرسة الرمزية- إلى إسرائيل ، والحوت العظيم يرمز إلى أرض السبي، ونينوى المدينة العظيمة (راجع إرميا ٥١: ٣٤، ٤٤-٤٥، إش ٢٧: ١، ٥١: ٩) تشير إلى الأمم الوثنية. ومهمة إسرائيل من قبل الرب هي أن تكرز وتشهد لشعوب الأرض كلها بأن الإله يهوه هو إله السماء والأرض إله البحر والبر (إش ٤٠ -٦٦). إلا أنها أهملت ذلك، وعصيت على الرب إلهها، وسارت في طريق عنادها وضلالها، وأجبرت من قبل الرب على أن تحمل إلى أرض الشقاء والعناء، إلى آشور وبابل. وهناك أمكن صياغتها من جديد.

كما لم يكن السبي للعقاب فقط بل للشهادة للرب أمام أمم الأرض أيضاً. وهذا ما تم بالفعل- في رأيهم- عندما ألقى الملاحون بيونان في البحر، فقد وقف البحر عن هيجانه وصار سكون، فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً (١ : ١٥ -١٦).

هذا التفسير الرمزي يرفضه كثير من علماء الكتاب، إذ يخلق الكثير من المشاكل، بالإضافة إلى أن سفر يونان في ذاته هو حدث تاريخي أقره رب المجد يسوع في الإشارة عن موته، وقيامته، مشيراً إلى قصة تاريخية أخرى، وهي الخاصة بملكة التيمن أيام سليمان.

وماذا عن الحوت العظيم: الذي يشكك فيه كثيرون، والقائلين بعدم إمكانية أن يبقى يونان في جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال. كما يرى روبرت فايفر، وذهب كثيرون إلى الاعتقاد بأن قصة الحوت العظيم، الذي ابتلع يونان، وبعد ثلاثة أيام وثلاث ليال قذف به صحيحاً إلى البحر، تعد الموضوع الرئيسي والهام بالسفر ربما يذهب بعضهم إلى الرأي، بأن سفر يونان لا يمثل شيئاً غير قصة الحوت العظيم. علماً بأن الجزء الخاص بالحوت العظيم، لا يزيد عن ثلاثة أعداد من بين ٤٨ عدداً هي جملة أعداد سفر يونان .وكم عانى الكثيرون منهم، في بذل الجهد للبحث عن حوت هنا أمكنه ابتلاع شخص، وقذف به حيا بعد فترة من الزمن. الأمر الذي أتاح لكثيرين مثل ترمبل Trumbull أن يرفض السفر ولا يرى فيه أكثر من كونه أسطورة، ويرى بأن يونان ظهر لشعب نينوى كأحد المتناسخين للاله داجون، لأناس يعتقدون في الخرافات، أما عن كونج Konig فيعتقد أن هناك علاقة، بين الإشارة عن الحوت والمدينة نينوى. ويشير إلى العلاقة بين الإلهة نينا Nina وايشتار Eshtar بسمكة من الداخل. وهكذا تكثر الأقاويل التي تضع قصة الحوت الذي ابتلع يونان في بند الأساطير.

أما عن ايكورن Eichorn فيكتب بأن حوتاً بدأ في ابتلاع بحار ، وسرعان ما ألقى به على الشاطئ على الفور في حالة فقد الوعي. وفي عام ١٨٩١ م حدث أن حوتاً ابتلع أحد البحارة وألقى به في اليوم التالي في حالة فقد الوعي أيضا- وفي إحدى جزر فوكلاند Folkland ابتلع حوت بحاراً وقذفه على الشاطئ في اليوم الثالث بعد أن أحدث به بعض الجروح الجلدية(١).

مزمور الشكر (الأصحاح الثاني) ووحدة السفر

يرى بعض النقاد، ومنهم ايشفيلد O.Eissfelbt أن الأصحاح الثاني، لم يُكتب بواسطة يونان. بل كتبه شخص آخر، وأنه لا يمثل جزءاً من السفر لأنه يعد مزمور شكر من أجل النجاة. وكيف ليونان أن يترنم بصلاة الحمد والشكر لله في العدد الأول «فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت» وفي العدد العاشر «وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر». ولو أن العدد العاشر من الأصحاح، جاء ترتيبه بعد العدد الأول ، لا تسق المعنى وما بقيت مشكلة. ووذهب فيلهوزن J.Wellhausen إلى القول، بأن العدد الخامس - «التف عشب البحر برأسي» يبطل الاعتقاد أن يونان كان في جوف الحوت، عندما كان يردد هذه الصورة الوارد عنها في الأصحاح الثاني. لأن العشب لا يستقر في جوف الحوت حتى يلتف برأسه.

ويرى علماء الكتاب من المحافظين ومنهم يونج هذه الصلاة صلاة الشكر في الأصحاح الثاني، أساء فهمها النقديون، لأنها ليست صلاة شكر للنجاة من الغرق والهلاك في البحر. بل هي صلاة شكر لله الذي أعد حوتاً عظيماً لينجيه من الموت. وهو الإله الذي بعث في قلبه أيضاً بروح الطمان بأنه لا يصاب بسوء وهو في جوف الحوت.

ولم ترد ثمة إشارة في هذا الأصحاح ، سواء من قريب أو بعيد، عن خلاص الرب ليونان من جوف الحوت حتى يتبين التعارض أو التناقض بين العدد الأول والعدد العاشر. وبهذا يثبت الاعتقاد بوحدة السفر والترابط بين

(1) R.K.H, Introduction to the Old Testament, P 907.

أصحاحاته الأربعة. أما عن التعبيرات الواردة بهذا الأصحاح أو بهذه الصلاة مثل «تياراتك ولججك»-«أحاط بي غمر»- «التف عشب البحر برأسي»..«نزلت إلى أسافل الجبال»- مغاليق الأرض- والهاوية إنما هي عبارات مجازية، تعبر عن خلاص الله له من الموت في المياه. فلا تؤخذ حرفياً، وما أكثر هذه العبارات المجازية في العهد القديم التي تنطوي على معان رفيعة وسامية (قارن إش ٥٥:١٢ب ، إر ١٥:١٦أ) . بهذا الفعل العظيم الذي أعده الرب ليونان، أمكن خلاصه من الموت بالغرق في المياه. وبينما كان في جوف الحوت، رفع يونان تسبيحة الشكر هذه - وفي الوقت المعين أمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر.

غاية السفر

يربط كثيرون بين سفر يونان، وحدث ابتلاع الحوت ليونان، ولا شيء أكثر من هذا. رغم أنه لم يرد أكثر من ثلاثة أعداد عن قصة الحوت. وغاب عن الكثيرين، أن سفر يونان يحتوي على كنوز ولآلئ ثمينة، من المعرفة والعلم عن طبيعة الله ومحبته الفائقة الإدراك. وكان يونان يعلم ذلك جيداً، من دراسته للتوراة، الأمر الذي انزعج له النبي، حتى طلب الموت لنفسه، في القول «علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر» (يونان ٤ :٢ ، خروج ٣٤:٦-٧) .كان يونان يعلم أن محبة الله متسعة وفائقة كل إدراك إنساني، بل أكثر مما يتوقع الإنسان أو يستحق وخلف عدل الله وغضبه، تكمن دائماً محبته وإحسانه(١).

والسفر يعد تحدياً ضد الفكر الضيق، والمنغلق للقومية اليهودية، نحو الشعوب الوثنية. لقد هرب يونان لأنه شعر بصلاح الله نحو أهل نينوى وحتى بعد أن قذف به الحوت إلى البر، وذهب إلى نينوى المدينة العظيمة مجبراً ، لم يكلف نفسه جهداً، أن ينادي على المدينة كلها بالتوبة بأن المدينة ستنقلب بعد أربعين يوماً. ولأن المدينة متسعة وكبيرة، وتحتاج منه ثلاثة أيام سيراً على الأقدام لتغطيتها كلها. سارها هو في يوم واحد فقط (٣:٤).

وكرازته المقتضبة هذه والموجزة، كان لها ثمرها المتكاثر والفائق. والذي لم يكن يتوقعه النبي. آمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم، وتذللوا، ولبسوا مسوحا من كبيرهم إلى صغيرهم (٣ :٥). «فلما رأى الله أعمالهم وأنهم رجعوا عن طرقهم الرديئة» تحنن الله عليهم فلم يصنع بهم شراً كما تكلم به (عدد ١٠).

من أجل ذلك غضب يونان جداً، واغتم غماً شديداً. وتأوه بالقول: أليس هذا كلامي عندما كنت في أرضي، لذلك قصدت الهرب إلى ترشيش (أسبانيا)، لأنني أعلم جيداً طبيعتك الراحمة، وعطفك وكثرة مراحمك (٤:٢، خر ٣٤: ٦،٧ ، ٢٢:٢٧). وأراد الله بلمسته الحانية أن يعلمه درساً في ذلك باليقطينة، والتي حزن لأجلها، عندما يبست فقال له الله: أنت أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، والتي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت، ألا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة العامرة بسكانها وثرواتها الحيوانية (٤ :١٠-١١).

لم يحدث أن تحدث نبي في العهد القديم بهذه الحقيقة، أن الله خالق الأرض كلها وما فيها. وهو بالضرورة أب لكل العالم وهو في محبته وعطفه وأبوته يرى جميع البشر متساوين. وأمامه لا فرق بين شعب وشعب لأنه خالق الكل(٢).

وينهي سفر يونان كل تعصب بين شعب وشعب. إنها رسالة حية لكل زمان ومكان، حتى تسود المحبة، وترفع الضغينة والحقد بين الإنسان وأخيه الإنسان. «وكانت كلمة الرب إلى يونان ثانية». إنها الكلمة الإلهية التي تأتي ثانية وربما ثالثة إلى العالم بجملته. لأنه لا سلام للعالم إن لم تكن هناك روح الأخوة المتبادلة، والمساواة في الحقوق لكل البشر والواجبات أيضاً. والسلام الوطيد هو المؤسس على العدالة. ولن يتحقق هذا السلام ما دام هناك شعور بالظلم نحو شعب آخر وطبقة ضد طبقة.

(1) Abraham J. Heschel, The Prophets, pp.486-87.
(2) Cornill, The Prophets of Israel, p.173

إن سفر يونان دعوة إلى الأخوة- العدالة- والإنسانية التي يقصد بها حقوق الإنسان الفرد.

تلك هي رسالة سفر يونان الهامة، والغاية العظمى من سلام دولي شامل، دونما تعصب للون، أو جنس، أو عقيدة- إذ يعلن السفر بكل الوضوح الكامل، أن الله رب الطبيعة ورب التاريخ، هو الخالق، وأب كل خليقة، ومحبته تضم كل البشرية في أرجاء المسكونة. والنبي الموحى بالروح القدس يقدم لنا رسالة اليوم، بأن الله لا يهتم فقط بإسرائيل بل بكل الشعوب الأخرى، ومحبته لأحد بمكان أو زمان.

وفي نهاية السفر، نجد شعب نينوى، يعلن إيمانه بالله. نينوى المدينة الفاسدة، وأساس وتجسيد كل شر، رمز لكل ضلال وفساد. الرب يقبل تذللهم وتوبتهم، ويرفع عنهم غضبه المعلن لهم قبلا بواسطة النبي يونان، الذي كان معادياً لهم. وتاب يونان بالفعل (قارن إش ٥٥: ١٠-١١) وتعلم درساً لن ينساه.

إن سفر يونان يعلن اتساع محبة الله، ونعمته لكل إنسان من كل قبيلة ولسان، وشعب، وأمة، ورحمته بغير حدود. ويريد أن يتمتع الجميع ببركاته ويبتهجوا بخلاصه.